

مقتدى الصدر يعود إلى الشوارع وإلى أروقة السلطة بعد أن ظل سنوات خارج الصورة

خصم قديم للولايات المتحدة يعزز قوته السياسية في العراق

طهران وواشنطن: تصعيد جديد لكن لا أحد يريد حربا حقيقية

لكن الغارات الأميركية ليل الأحد الإثنين على الحدود العراقية السورية وما أعقبها من قصف مدفعي متبادل بين مقاتلين موالين لإيران والأميركيين، خلطت الأوراق من جديد.

وفي تقدير المحلل المختص بالجماعات المسلحة العراقية حمدي مالك فإن "الخطوط الحمراء بالنسبة إلى إدارة بايدن قد تغيرت، فلم تعد واشنطن ترد على مقتل أميركي، وإنما ردها يأتي على أي تصعيد ضد قواتها خصوصا الهجمات المتطورة بالطائرات المسيّرة".

وأمام تصلب الرئيس الأميركي بايدن الذي توقع الفصائل أن يكون أكثر مرونة معها مقارنة بترامب، ضاعف الموالون لإيران من حدة هجماتهم. فقد حذر زعيم عصائب أهل الحق، أحد أبرز فصائل الحشد الشعبي العراقية، في تصريحات له مساء الثلاثاء بأن "عمليات المقاومة انتقلت لمرحلة جديدة".



حمدي مالك

الخطوط الحمراء بالنسبة إلى إدارة بايدن تغيرت

وارتفعت أصوات عديدة من ضمن عناصر الحشد الشعبي للدعوة إلى شن هجمات مباشرة ضد "الإحتلال". وخلال مراسم التشييع الرمزي الثلاثاء لعناصر في الحشد الشعبي ضوا في القصف الأميركي، طالب مقاتلون في الحشد قيادتهم بالتحرك. ويرى هؤلاء أنه بات ضروريا اتخاذ خطوات عملية في هذا الصدد، فيما نددت بغداد رسميا بالقصف واعتبرته "انتهاكا لسيادتها".

وبات رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، الذي يعتبر الحليف الأول للأميركيين في العراق، مرغما على تقديم المزيد من التنازلات للحشد الشعبي، فيما يبدو أنه يتجه للانفتاح أكثر فأكثر نحو إيران مع اقتراب موعد الانتخابات التشريعية المبكرة المقررة في أكتوبر.

وفي حين ينوي الكاظمي القيام بزيارة رسمية قريبة إلى واشنطن، بات أول مسؤول يتلقى دعوة من الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي يوم فوزه بالرئاسة في انتخابات 18 يونيو، لزيارة طهران.

وفيما تلوح تساؤلات حول مصلحة من هذا التصعيد، يطمئن خبراء بأن كل الأطراف حتى الآن تحاول إظهار قوتها ورسم حدود للخيم، فلا توجد مصلحة لأي منها بتفجير الأوضاع، غير أنها وفي الوقت ذاته مرغمة على مواصلة التصعيد الكلامي ومقابلته بأفعال ملموسة من أجل إعادة ترتيب توازن القوى في ما بينها.

بغداد - انتُخب إلى سدة الرئاسة في إيران محافظ متشدد، وحل الديمقراطي جو بايدن محل دونالد ترامب في البيت الأبيض، لكن الولايات المتحدة لم تتوقف عن إصدار الأوامر بقصف فصائل عراقية مسلحة موالية لإيران.

فقد أشارت الضربات الجوية الأميركية التي أوقعت قتلى في صفوف هذه الفصائل في العراق وسوريا مخاوف من تصعيد جديد بين الخصمين اللدوين. وعلى الرغم من أنهما تاملان في إحياء اتفاق عام 2015 بشأن برنامج إيران النووي الذي انسحب منه الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، هل تخاطر واشنطن وطهران بمواجهة جديدة منفجرة؟

ردا على هذه التوقعات، يتوقع خبراء ومتابعون موجة جديدة من التصعيد بين البلدين مستحضرين صدامات وحوادث مشابهة. ففي ديسمبر عام 2019 قتل 25 مقاتلا من فصائل عراقية موالية لإيران في ضربة جوية نفذتها الولايات المتحدة أعقبها هجوم استهدف السفارة الأميركية في بغداد ونفذه الحشد الشعبي وهو تحالف من فصائل موالية لإيران مندمجة في القوات الحكومية العراقية.

بعد ذلك، في الثالث من يناير سنة 2020 نفذت طائرات مسيرة أميركية ضربة جوية استهدفت موكب مهندس الاستراتيجية الإيرانية في الشرق الأوسط قائد فيلق القدس في الحرس الثوري قاسم سليماني ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقي أبو مهدي المهندس قرب مطار بغداد أسفرت عن مقتلها.

وأثارت تلك العملية مخاوف لفترة محدودة من اندلاع صراع مفتوح في العراق بين حلفتي بغداد والولايات المتحدة وإيران. وجاءت العملية ردا على تعرض المصالح الأميركية في العراق لهجمات صاروخية متكررة، فيما نفذت واشنطن ضربات ضد فصائل موالية لإيران تتهمها بالوقوف وراء تلك الهجمات.

وتتواصل الهجمات حاليا ضد المصالح الأميركية في العراق، لكن بأساليب تشكل تهديدا أكبر وتوقع أضرارا أكبر، لاسيما مع استخدام الطائرات المسيّرة المخففة ضد الأميركيين كما حصل في مطار أربيل، عاصمة إقليم كردستان الذي كان يعد حتى الآن موقعا آمنا.

عموما، بدأت الفصائل الموالية لإيران مثل الحوثيين في اليمن والفصائل المتواجدة على الحدود العراقية السورية، باعتماد تقنيات هجومية موحدة على مستوى أعلى باستخدام طائرات مسيرة إيرانية الصنع بإمكانها أحيانا الإفلات من الدفاعات الجوية الأميركية المنتشرة لردع الهجمات الصاروخية.



شخصية شيعية ذات نزعة قومية واضحة

محسوب بدقة من المرشحين في كل منطقة لتفادي تفتت الصوت الصوري.

وقال مساعد الصدر واثان أخران من المسؤولين الصوريين إن التيار وحزب ولا يزالان على اتصال وثيق ويتبادلان الخبرات السياسية والاقتصادية والعسكرية بانتظام بما في ذلك كيفية التعامل مع الأزمات السياسية المحلية والإقليمية.

ويستخدم الفصيلان نهجا مائلا للتواصل على الصعيد المحلي مقترنا بنشاط الجناحين العسكري والسياسي. وتربط الجانبين صلات أسرية من خلال المصاهرة. وتندحر عائلة الصدر من لبنان.

ومع تحديد موعد الانتخابات في أكتوبر يملا الصوريين شعور بالثقة. وحسب حسن الكعبي النائب الأول لرئيس مجلس النواب العراقي في مقابلة تلفزيونية خلال أبريل "رئيس الوزراء القادم مليون في المئة صدي". ويسلم معظم خصوم الصدر بأن الصوريين سيحتلون المركز الأول وأن نفوذهم الاستثنائي في إدارة الدولة سينجحهم القول الفصل في من يقود الحكومة.

انصراف الأنصار

يحمل بروز دور الصدر في طياته مخاطر على التيار الصوري ذاته. فقد كشف اثنا من كبار مسؤولي الحكومة من معارضين الصدر أن أتباعه لم يعرفوا الرأفة في مسعاهم لوضع اليد على المناصب في الدولة.

ويروي مسؤول تعليمي في جنوب العراق يدعى أبو أمير كيف أن أنصار الصدر هددوه لكي يتنحى عن منصبه في مدرسة حكومية، وهو منصب كان قد أقال منه توا سلفه الصوري لتهم فساد. وقال أبو أمير إنهم كانوا يريدون إعادة المسؤول الصوري إلى منصبه.

وبين أبو أمير الذي طلب عدم كشف اسمه بالكامل أنه ما إن تسلم المنصب حتى بدأت رسائل تصله من أنصار الصدر يهددونه فيها ويطالبونه بالاستقالة. وأضاف أن مسؤولا حكوميا صديرا تم تعيينه مؤخرا دخل المدرسة بعد بضعة أيام مع عدد من المسلحين وأعاد الصوري المفصول إلى منصبه. وكان أبو أمير قد لاذ بالفرار.

ومن ناحية أخرى بدأ بعض شباب الصوريين ينصرفون عن التيار. فقد اعتاد قاسم الذي شارك في الاحتجاجات أن يكون من أنصار التيار، لكنه كشف أنه وأخري انصرفوا عنه استياء بعد أن انقلب أنصار الصدر على الناشطين المطالبين بالديمقراطية في أوائل 2020. وكان الصدر قد سحب دعمه للاحتجاجات بعد بضعة أسابيع من نجاحها في تحقيق هدف الإطاحة بالحكومة المدعومة من إيران. وأردف قاسم "ربما كان الصدر يكسب نفوذا في الدولة لكنه يخسر الناس أمثالي".

فيما وصف حازم الأعرجي القيادي في الخط الأول للتيار الصوري بأن هذا التيار أقوى من أي وقت مضى منذ 2003، مضيفا أنه هو "الجهة الأقوى بالعراق".

مكمن السلطة

بدءا من منتصف العقد الأول في القرن الحالي نأى الصدر بنفسه بصفة عامة عن الحكومات العراقية سواء التي أيدتها الولايات المتحدة أو تلك التي أيدتها إيران.

وفي 2007 انسحب التيار الصوري من الحكومة بسبب رفضها تحديد جدول زمني لانسحاب القوات الأميركية من البلاد. وفي سنة 2008 قاد رئيس المهدي نوري الملكي حملة على جيش المهدي سقط فيها المئات من المقاتلين قتلى. وفي 2014 أعلن الصدر أنه سينسحب من ساحة العمل السياسي. ويقول معاونوه إنه خشي أن تهتز سمعته من جراء الارتباط بطبقة الحكم التي يرى العراقيون جميعا تقريبا أنها فاسدة.

ومما لا ريب فيه أن التيار الصوري واصل شغل مناصب رئيسية في بعض الوزارات، لاسيما وزارة الصحة، واستمر في الدفع برشحين في الانتخابات.

وقد ساعد الدور المتزايد الذي يلعبه التيار الصوري في إدارة الدولة في الدفع بالتشريعات التي يفضلها والموافقة على القرارات الحكومية الكبرى أو الاعتراض عليها. وتخصص موازنة العام 2021 المزيد من الأموال في جنوب العراق قلب النفوذ الشعبي الذي يمثل قاعدة التأييد التقليدية للتيار الصوري وللوزارات التي يتمتع فيها باقصى نفوذ، وذلك وفقا لما قاله ساسة كبار من الشيعة والأكراد. وربما تتبقى بعد ذلك مبالغ أقل للمناطق الشمالية السنية التي تعرضت للدمار في المعركة مع تنظيم داعش ولتحتاج أشد الحاجة لإعادة الإعمار. ولم يعلق التيار الصوري على ذلك.

ويؤكد نواب ومحطون أن الانتخابات العامة المرتقبة وقانونا انتخابيا جديدا يعتبران في صالح الأحزاب الكبرى التي لها قاعدة تاييد شعبي واسعة لأن المرشحين سيحتاجون أصواتا أكثر وربما تسفر عن تعزيز وضع التيار الصوري. وكان الصوريون طالبوا بإجراء الانتخابات وبالقانون الجديد.

وأوضح مسؤولان من الصوريين وثلاثة مسؤولين كبار من الشيعة أن جماعة حزب الله اللبنانية الشيعية قدمت دورات سياسية للصوريين. ففي انتخابات محلية عام 2009 على سبيل المثال دفع التيار الصوري بعدد

الصدر على التعامل مع حكومة يهيمن عليها خصومه الشيعة المدعومون من إيران.

ومنذ هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية في عام 2017، وجهت القوات التي حاربت التنظيم من الولايات المتحدة والفصائل المدعومة من إيران أسلحتها للأخرى بهجمات صاروخية وضربات بالطائرات المسيّرة. ومع انشغال خصومه الشيعة، اتجه الصدر في هدوء إلى العمل السياسي.

وقال دوج سليمان السفير الأميركي السابق لدى العراق ورئيس معهد دول الخليج العربية في واشنطن "وجدنا أن الصدر واحد من المكابح الرئيسية للتوسع الإيراني والنفوذ السياسي الشيعي الموغل في الطائفية بالعراق بعد انتخابات 2018".

ويلفت مسؤولون كبار بالحكومة وساسة من الشيعة إلى أن التيار الصوري تعلم بعضا من أساليبه السياسية من جماعة حزب الله اللبنانية المسلحة التي تربطها بالحركة الصورية صلة وثيقة. ومن هذه الأساليب سبل تجنب انقسام أصوات الصوريين ومن ثم تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب الانتخابية.

ولخص نصار الربيعي رئيس الهيئة السياسية للتيار الصوري، نهضة التيار فقال "هذه المناصب موجودة بكل مكان. يعني عندنا ناس تابعين للتيار الصوري بكل مؤسسات الدولة. وعندهم مناصب كبيرة ومهمة. هم أبناء مؤسسة متزوجون".

ويذهب التيار الصوري لتحييد عمل على أجهزة الدولة العراقية. فقد تولى عضاؤه مناصب عليا في وزارات الداخلية والدفاع والاتصالات. وتم تعيين من وقع عليهم اختياره في مؤسسات النفط والكهرباء والنقل التابعة للدولة والبنوك المملوكة للدولة بل والبنك المركزي العراقي، حسيما قال أكثر من عشرة مسؤولين حكوميين ونواب. واتاحت هذه المواقع الجديدة للتيار الصوري قوة مالية.

ويوضح تحليل لوكالة رويترز أن الوزارات التي شغل الصوريين أو حلفاؤهم مناصب فيها في الآونة الأخيرة تمثل ما بين ثلث ونصف مشروع موازنة العراق لعام 2021 البالغ حجمه 90 مليار دولار.

ويذهب التيار الصوري لتحقيق أكبر مكاسب في الانتخابات العامة المقرر إجراؤها في أكتوبر القادم. وربما يمثل هذا النفوذ المتنامي مشاكل للولايات المتحدة وإيران اللتين يتهمهما الصدر بالتدخل في شؤون العراق. وسبق أن نادى الصدر برحيل القوات الأميركية الباقية في العراق والبالغ قوامها 2500 جندي كما قال لظهران إنه لن يترك العراق في قبضتها.

ومع ذلك، أشار بعض الدبلوماسيين الغربيين في لقاءات خاصة غير رسمية إلى أنهم يفضلون التعامل مع حكومة يهيمن عليها

طيلة العامين الماضيين عمل القيادي الشيعي مقتدى الصدر بهدوء للعودة إلى المشهد السياسي العراقي، مستفيدا من شعبيته القوية التي من المتوقع أن تمنحه مكاسب انتخابية جديدة في الانتخابات البرلمانية المرتقبة في أكتوبر القادم. وبعد أن نجح التيار الصوري في أن يضع يده على المناصب الحكومية، يكشف تقرير لرويتزر السر وراء هذا النجاح، حيث يعود ذلك إلى ما تعلمه من أساليب جماعة حزب الله اللبناني والتي تتسوق معه في المرجعية والولاء لإيران، في كيفية تبريد الانقسامات الداخلية واستقطاب الشارع والاستحواذ على السلطة.

جون ديفيسون / أحمد رشيد

بغداد - ذات ليلة شابها التوتر في شهر فبراير الماضي، خرج الآلاف من المقاتلين الموالين لرجل الدين الشيعي مقتدى الصدر إلى شوارع بغداد ومدن أخرى في جنوب العراق في استعراض بشاحنات البيك أب المحملة بالسلاح بينما وقفت قوات الأمن العراقية دون أن تحرك ساكنا.

كان ذلك أكبر استعراض للقوة من جانب فصيل رجل الدين الشعبي منذ أواسط العقد الأول من القرن الحالي عندما خاض أتباعه معارك مع قوات الاحتلال الأميركي والحقوا بها خسائر بشرية بالآلاف.



حسن الكعبي

رئيس الوزراء القادم مليون في المئة ينتمي إلى التيار صوري

وبعد يومين وفي خطوة نادرة، ظهر الصدر أمام كاميرات وسائل الإعلام في قاعدته بمدينة الخف المقدسة عند الشيعة في جنوب العراق. وقال إن سرايا السلام التابعة له خرجت بسبب تهديد إرهابي يستهدف مواقع شيعية مقدسة وإبن العراق ليس أمنا دون جماعته المسلحة، مضيفا أن "القوات الأمنية في حالة انهيار وضعف".

وفي نظر حلفاء الصدر وخصومه على السواء كانت رسالته واضحة: فقد عاد الصدر بعد أن ظل سنوات خارج الصورة. كانت عودة إلى الشوارع وإلى دهايب السلطة معا.

وخلال العامين الأخيرين عمل التيار الصوري بهدوء على الهيمنة على أجهزة الدولة العراقية. فقد تولى عضاؤه مناصب عليا في وزارات الداخلية والدفاع والاتصالات. وتم تعيين من وقع عليهم اختياره في مؤسسات النفط والكهرباء والنقل التابعة للدولة والبنوك المملوكة للدولة بل والبنك المركزي العراقي، حسيما قال أكثر من عشرة مسؤولين حكوميين ونواب. واتاحت هذه المواقع الجديدة للتيار الصوري قوة مالية.

ويوضح تحليل لوكالة رويترز أن الوزارات التي شغل الصوريين أو حلفاؤهم مناصب فيها في الآونة الأخيرة تمثل ما بين ثلث ونصف مشروع موازنة العراق لعام 2021 البالغ حجمه 90 مليار دولار.

ويذهب التيار الصوري لتحقيق أكبر مكاسب في الانتخابات العامة المقرر إجراؤها في أكتوبر القادم. وربما يمثل هذا النفوذ المتنامي مشاكل للولايات المتحدة وإيران اللتين يتهمهما الصدر بالتدخل في شؤون العراق. وسبق أن نادى الصدر برحيل القوات الأميركية الباقية في العراق والبالغ قوامها 2500 جندي كما قال لظهران إنه لن يترك العراق في قبضتها.

ومع ذلك، أشار بعض الدبلوماسيين الغربيين في لقاءات خاصة غير رسمية إلى أنهم يفضلون التعامل مع حكومة يهيمن عليها



النفوذ الإيراني في العراق مهدد بالفشل مرة أخرى

